عبدالله ابن مسعود ودوره الفعّال في خدمة القرآن الكريم

The Role of ‘Abdullahi bn Mas’ud in the Preservation of Al–Qur’an Al–Kareem

د/ أبوبكر ثاني حسين

المدير العام لأكاديمية أبي موسى الأشعري لتحفيظ القرآن الكريم والدراسات ورئيس مجلس العلماء لجماعة إزالة البدعة وإقامة الإسلامية كدونا، نيجيريا.

السنة فرع دوكا، ولاية كدونا، نيجيريا

drabubakarsanihusain@gmail.com

مستخلص

يهدف هذا البحث إلى إلقاء الضوء على الدور الكبير الذي قام به الصحابي الجليل عبدالله بن مسعود في خدمة القرآن الكريم، حيث كان له تأثير كبير على نقل القرآن الكريم وتعليمه وتجويده وتفسيره. ستحاول هذه الدراسة استعراض حياة ومسيرة الصحابي الجليل عبدالله بن مسعود وكيف كان دوره حاسماً في تاريخ الإسلام وفي نشر وحفظ كتاب الله العزيز. تعتبر دراسة الصحابة في خدمة القرآن الكريم أمراً بالغ الأهمية، حيث أنهم كانوا أول من عاصروا النبي ونزول القرآن وتعلموا من النبي صلى الله عليه وسلم، وبالتالي كان لهم دور كبير في تعليم القرآن وتفسيره وتجويده وتعليمه في عهد النبي وبعد وفاته، ولذلك فإن فهم هذا الدور ودراسة تفاصيله يعتبر ضرورة لفهم عمق القرآن الكريم وتأثيره على الأمة الإسلامية.

وقد كان عبدالله بن مسعود من أبرز الصحابة الذين نقلوا القرآن الكريم عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم. وقد لعب دورًا مهمًا في تعليم القرآن الكريم ، حيث كان يقوم بتعليم المسلمين قراءة القرآن وحفظه. وقد كانت له بصمة واضحة في حفظ ونقل القرآن الكريم وكان يعتبر من الأوائل في هذا المجال.

الكلمات المفتاحية: عبدالله بن مسعود، دوره الفعّال، خدمة، القرآن الكريم، الإسلام

Abstract

This research was aimed to shed light on the significant role played by the esteemed Companion, Abdullah bn Mas'ud, in serving the Quran. He had a profound impact on the transmission, teaching, recitation, and interpretation of the Quran. This study will attempt to explore the life and journey of Abdullah ibn Mas'ud, his role was pivotal in the history of Islam and the preservation and dissemination of Allah's Book. Studying the Companions' service to the Quran is of great importance, as they were the first to witness the Prophet and the revelation of the Quran, learning it directly from the Prophet Muhammad (peace be upon him). Consequently, they played a crucial role in teaching, interpreting, reciting, and transmitting the Quran during and after the Prophet's lifetime. Thus, understanding this role and examining its details are essential for grasping the depth of the Qur'an's impact on the Muslim Ummah. Abdullah bn Mas'ud was one of the most prominent companions who transmitted the Qur'an from the Prophet Muhammad (peace be upon him). He played a vital role in teaching the Qur'an to Muslims, encouraging them in its recitation ad memorisation. He left a clear mark on the preservation and transmission of the Qur'an and was considered one of the foremost figures in this field.

Keywords: Islam, ‘Abdullahi bn Mas’ud, Al-Qur’an, Preservation, Companions

المقدمة

فإن هذه المقالة تنصب على أحد الرجال الذين عاصروا النبي صلى الله عليه وسلم، دون خذلان ونفاق، بل كان معه في حله وترحاله، وهو صاحب سره، لازمه في معظم أوقاته، لهذا تخرج على يدي النبي صلى الله عليه وسلم عالما ربانيا قارئا ومفسرا وقاضيا وصاحب خلق رفيع، هو عبد الله بن مسعود أول من قرأ القرآن عن ظهر قلبه، وهو من بين القرّاء الذين قال عنهم النبي صلى الله عليه وسلم: "استقرؤوا القرآن من أربعة من عبد الله بن مسعود فبدأ به"[1]، ومثل هذه المقالات تكشف جانبا مهما من حياة هؤلاء الصحابة الأربع ليُرى جانب مشرق فيها فيقتبس منه، وجوانب حياة صحابة رسول الله كلها مشرقة لم يخذلوه بل ساندوا وشاركوا في حمل راية الإسلام معه في جميع الأوقات، فالإسلام أصداؤهم الجميلة في جميع المناسبات، ولأهمية هذا الموضوع في بحث عن شخصيات صحابة رسول الله.

أسباب اختيار هذا الموضوع:

إن اختيار موضوع البحث عن شخصية مثل عبد الله بن مسعود ودوره في خدمة الإسلام ينبع من عدة أسباب جوهرية تتعلق بأهمية هذه الشخصية في التاريخ الإسلامي، وعمق تأثيرها في تشكيل الفكر الإسلامي والممارسة الدينية، ويمكن تفصيل هذه الأسباب من خلال النظر إلى جوانب متعددة من حياته وإسهاماته:

1- يُعد عبد الله بن مسعود من الصحابة الأجلاء الذين حظوا بمكانة رفيعة في الإسلام، وذلك لقربه من النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وملازمته له، وتلقيه العلم عنه مباشرة.

2- يتميز عبد الله بن مسعود بكونه من أوائل من أسلموا، وقد شهد مراحل الدعوة الإسلامية كلها، من بدايتها في مكة المكرمة وما صاحبها من اضطهاد، إلى المدينة المنورة، وقيام الدولة الإسلامية.

3- يبرز دور عبد الله بن مسعود بشكل خاص في مجال القرآن الكريم. فقد كان من كبار قرّاء الصحابة، ومن الذين جمعوا القرآن وحفظوه عن ظهر قلب.

4- كان عبد الله بن مسعود من فقهاء الصحابة وعلمائهم، وقد اشتهر ببراعته في الفقه والاجتهاد.

5- دوره الفعال في الجانب العملي والسياسي للدولة الإسلامية، فقد تولى قضاء الكوفة في عهد الخليفة عمر بن الخطاب.

6-كون شخصية عبد الله بن مسعود نموذجاً يحتذى به في الزهد والورع والتقوى. فقد كان معروفاً بتواضعه، وإخلاصه، وتفانيه في خدمة الإسلام

7- يتيح البحث عن دور عبد الله بن مسعود فرصة لدراسة تأثيره على الأجيال اللاحقة، وخاصة التابعين.

8- يمكن أن يسهم هذا البحث في تصحيح بعض المفاهيم الخاطئة أو الغامضة حول شخصية عبد الله بن مسعود ودوره، وذلك بالاعتماد على المصادر الموثوقة والتحليل العلمي الرصين.

9- كون دراسة شخصية مثل عبد الله بن مسعود ودوره في خدمة الإسلام ليست مجرد دراسة تاريخية، بل هي دراسة تستلهم العبر والدروس للحاضر والمستقبل.

أهمية الموضوع

يُعدّ هذا موضوع من المواضيع ذات الأهمية البالغة في الدراسات الإسلامية، وذلك لعدة اعتبارات جوهرية تتعلق بمكانته في صدر الإسلام، وعلمه الغزير، وتأثيره العميق في الأجيال اللاحقة، إذ إن دراسة شخصيته ومساهماته لا تقتصر على مجرد سرد تاريخي، بل تمتد لتشمل فهمًا عميقا لأسس التشريع الإسلامي، ومنهج الصحابة في تلقي العلم ونشره، ودور الفرد في بناء المجتمع الإسلامي، ودراسة شخصيته تكشف لنا ما يلي:

-إسهاماته في نشر الإسلام.

-خلقه وخصاله الحميدة.

-منهجه العلمي في التفسير والإقراء، والتعليم.

-فهم أصول التشريع.

-صحبته وملازمته للنبي صلى الله عليه وسلم

نسب عبد الله بن مسعود

عبد الله بن مسعود، رضي الله عنه، هو أحد الصحابة الكرام الأجلاء، ومن السابقين إلى الإسلام، ومن كبار فقهاء الصحابة وقرائهم وقضاتهم. يُعدّ من أبرز الشخصيات في تاريخ الإسلام المبكر، وقد لعب دورًا محوريًا في نشر الدعوة الإسلامية وتعليم القرآن الكريم والسنة النبوية.

وعبد الله ابن مسعود هو ابن غافل بن حبيب بن شمخ بن فار بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة. ويكنى أبا عبد الرحمن. حالف مسعود بن غافل عبد بن الحارث بن زهرة في الجاهلية.

وأمه هي أم عبد بنت عبد ود بن سواء بن قريم بن صاهلة بن كاهل بن

الحارث بن تميم ابن سعد بن هذيل. وأمها هند بنت عبد بن الحارث بن زهرة بن كلاب[2]، وقيل: هي أم عبدة بنت الحارث بن زهرة، وصححه أبو نعيم، شهد بدرا والمشاهد كلها، مهاجري، ذو الهجرتين، هاجر قبل جعفر إلى الحبشة، من النجباء، والنقباء، والرفقاء، كناه النبي صلى الله عليه وسلم بأبي عبد الرحمن قبل أن يولد له، سادس الإسلام سبقا وإيمانا، حليف بني زهرة وعداده فيهم[3]. فاطمة بنت الخطاب قبل إسلام عمر بزمان.

هو أول من جهر بقراءة القرآن بمكة. وكان خادم رسول الله الأمين، وصاحب سره، ورفيقه في حله وترحاله وغزواته، يدخل عليه كل وقت ويمشي معه. نظر إليه عمر يوما وقال: وعاء ملئ علما. وولي بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بيت مال الكوفة.

ثم قدم المدينة في خلافة عثمان، فتوفي فيها عن نحو ستين عاما. وكان قصيرا جدا، يكاد الجلوس يوارونه. وكان يحب الإكثار من التطيب. فإذا خرج من بيته عرف جيران الطريق أنه مر، من طيب رائحته. له 848 حديثا. وأورد الجاحظ خطبة له ومختارات من كلامه[4].

سبب إسلامه

كان سبب إسلامه أنه كان يرعى غنما لعقبة بن أبي معيط فمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذ شاة حائلا من تلك الغنم فدرت علينا لبنا غزيرا فحلبه في إناء وشرب وسقى أبا بكر ثم قال للضرع اقلص فقلص، قال ثم أتيته

بعد هذا فقلت يا رسول الله علمني من هذا القول فمسح رأسي وقال يرحمك الله فإنك عليم معلم قال ابن عبد البر ثم ضمه إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يلج عليه ويلبسه نعليه ويمشي أمامه ويستره إذا اغتسل ويوقظه إذا نام وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم إذنك علي أن ترفع الحجاب وأن تجمع سوادي حتى أنهاك وكان يعرف في الصحابة بصاحب السواد والسواك... وصلى القبلتين وشهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة وقال صلى الله عليه وسلم رضيت لأمتي ما رضي لها ابن أم عبد وسخطت لها ما سخط ابن أم عبد وقال صلى الله عليه وسلم اهدوا هدي عمار وتمسكوا بعهد ابن أم عبد[5].

شجاعته وجهاده

شارك عبد الله بن مسعود في غزوات النبي صلى الله عليه وسلم، وكان من الشجعان الذين ثبتوا في المعارك. (الاستيعاب في معرفة الأصحاب). وقد شهد غزوة بدر وأحد والخندق وغيرها من الغزوات. (أسد الغابة في معرفة الصحابة). يُذكر أنه كان أول من جهر بالقرآن الكريم في مكة المكرمة، وتحمل الأذى في سبيل ذلك[6].

مكانته وفضائله

مكانة عبد الله بن مسعود في الإسلام رفيعة وعالية، فهو من كبار صحابة الرسول -الله صلى الله عليه وسلم- ومن السابقين إلى الإسلام، ومن الذين لازموه ملازمة شديدة، وتلقى عنه العلم مباشرة، وقد شهد له النبي -صلى الله عليه وسلم- بالفضل والعلم، وأثنى عليه الصحابة والتابعون، إذ هو من

أوائل من أسلموا، ويُعد سادس ستة دخلوا الإسلام[7]، وقد أسلم في مكة المكرمة قبل الهجرة، وتحمل الأذى والاضطهاد في سبيل دينه.

لازم النبي صلى الله عليه وسلم ملازمة شديدة، فكان يدخل عليه في بيته ويخدمه، ويحمل نعله وسواكه وطهوره، ويقوم على شؤونه (الاستيعاب في معرفة الأصحاب). هذه الملازمة الطويلة والقرب من النبي صلى الله عليه وسلم أتاحت له فرصة عظيمة لتلقي العلم مباشرة منه، ومشاهدة أفعاله وأقواله، مما جعله من أكثر الصحابة علمًا بسنة النبي صلى الله عليه وسلم. ومما يزيد من فضله تمكنه في القرآن الكريم، وهذا لا شك فيه نابع من ملازمته للنبي – صلى الله عليه وسلم- فهو من أعلم الصحابة بالقرآن الكريم، وقد شهد له النبي صلى الله عليه وسلم بذلك؛ حيث قال: "من أحب أن يقرأ القرآن غضًا كما أنزل، فليقرأه على قراءة ابن أم عبد"[8].

وهذا الحديث يدل على إتقانه للقراءة وحفظه للقرآن الكريم، وقد كان ابن مسعود من أوائل من جمعوا القرآن الكريم، وكان له مصحف خاص به يختلف في ترتيب بعض السور عن المصحف الإمام الذي جمعه عثمان بن عفان، ولكنه كان متفقًا معه في المحتوى (الجامع لأحكام القرآن). وقد كان ابن مسعود مرجعًا في تفسير القرآن الكريم، وكان يقول: "والله الذي لا إله غيره، ما من سورة في كتاب الله إلا وأنا أعلم أين نزلت، ولا من آية في كتاب الله إلا وأنا أعلم فيم نزلت، ولو أعلم أحدًا أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه"[9] وهذا التصريح يدل على عمق علمه بالقرآن وأسباب نزوله وتفسيره.

وأخبرنا أبو معاوية الضرير، أخبرنا الأعمش عن إبراهيم قال: قال عبد الله: أخذت من في رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بضعا وسبعين سورة[10]. وقد وردت أحاديث كثيرة في علمه وبخاصة في مهارة قراءة القرآن الكريم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " استقرئوا القرآن على أربعة: من عبد الله بن مسعود - فبدأ به - وسالم مولى أبي حذيفة، وأبي، ومعاذ بن جبل " ورواه شعبة، عن عمرو بن مرة، عن إبراهيم، عن مسروق، ورواه طلحة بن مصرف، عن مسروق[11].

ومما ورد في خصاله الحميدة: حدثنا الطلحي، ثنا عبيد، ثنا أبو بكر، ثنا ابن فضيل، ثنا مغيرة، عن أم موسى، قالت: سمعت عليا، يقول: أمر النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن مسعود أن يصعد شجرة، فيأتيه بشيء منها، فنظر أصحابه إلى حموشة ساقيه، فضحكوا منها، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «مما تضحكون؟ لرجل عبد الله في الميزان أثقل من أحد»[12]. ويذكر أن بن مسعود من أجود الناس أناقة ونظافة، عن سليمان بن مينا، عن نويفع مولى ابن مسعود قال: كان عبد الله من أجود الناس ثوبا أبيضا وأطيب الناس ريحا[13].

ملازمته للنبي صلى الله عليه وسلم وخدمته له.

زهده:

كان عبد الله بن مسعود من أزهد الناس، حتى قيل فيه بأنه ضعيف

اللحم[14]، من كثرة ما يقوم به من العبادات، ومما يدل على هذا الاتجاه بعض أقواله المأثورة، منها: قوله: "لو سخرت من كلب لخشيت أن أكون كلبا وإني لأكره أن أرى الرجل فارغا ليس في عمل آخرة ولا دنيا". وقوله: حبذا المكروهان الموت والفقر وايم الله ما هو إلا الغنى والفقر وما أبالي بأيهما ابتليت إن كان الفقر إن فيه للصبر وإن كان الغنى إن فيه للعطف لأن حق الله في كل واحد منهما واجب.

وقوله: من أراد الآخرة أضر بالدنيا ومن أراد الدنيا أضر بالآخرة يا قوم فأضروا بالفاني للباقي.[15]

وقوله: إنكم في ممر الليل والنهار في آجال منقوصة وأعمال محفوظة والموت يأتي بغتة، من زرع خيرا يوشك أن يحصد رغبة ومن زرع شرا يوشك أن يحصد ندامة ولكل زارع مثل زرع لا يسبق بطيء بحظه ولا يدرك حريص ما لم يقدر له، فمن أعطي خيرا فالله أعطاه ومن وقي شرا فالله وقاه، المتقون سادة والفقهاء قادة ومجالستهم زيادة.[16]

وقوله: ارض بما قسم الله تكن من أغنى الناس واجتنب المحارم تكن من أروع الناس وأد ما افترض عليك تكن من أعبد الناس[17]. فعبد الله بن مسعود معروف بزهده وورعه وتقواه، وكان من العباد الزاهدين في الدنيا، المقبلين على الآخرة. وقد كان يخشى الله تعالى ويراقبه في جميع أحواله، وكان كثير البكاء من خشية الله، وهو قدوة حسنة في التواضع والبساطة، لم يكن

يطلب الشهرة أو المناصب، بل كان يفضل العزلة والعبادة، كما هو واضح من خلال أقواله المحكية.

علمه بالقرآن الكريم وتفسيره

كان من أعلم الصحابة بالقرآن الكريم، وقد شهد له النبي صلى الله عليه وسلم بذلك، كما سبق، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: "من أحب أن يقرأ القرآن غضًا كما أنزل، فليقرأه على قراءة ابن أم عبد" وقد كان مرجعًا في تفسير القرآن الكريم، وكان يقول: "والله الذي لا إله غيره، ما من سورة في كتاب الله إلا وأنا أعلم أين نزلت، ولا آية في كتاب الله إلا وأنا أعلم فيم نزلت، ولو أعلم أحدًا أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه" وقد سبقت الإشارة إلى ذلك.

فقهه واجتهاده

وعبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) يمثل مدرسة فقهية متميزة ضمن الفقه الإسلامي المبكر، وقد كان له تأثير عميق في الأجيال اللاحقة من الفقهاء، خاصة في الكوفة. تميز فقهه بعدة خصائص جعلته مرجعًا أساسيًا في فهم الشريعة الإسلامية.

وقد اعتمد في فتاواه الفقهية على ما يلي:

القرآن الكريم: هو من كبار قراء الصحابة وحفاظهم، وقد تلقى القرآن مباشرة من النبي صلى الله عليه وسلم، وقد كان فهمه للقرآن عميقًا، وكان يرى أن كل حكم شرعي لا بد أن يكون له أصل في كتاب الله. كان يشتهر بقوله: "والله الذي لا إله غيره، ما من سورة في كتاب الله إلا أنا أعلم أين نزلت، وما من آية في كتاب الله إلا أنا أعلم فيم نزلت"، وقد أشرت إلى ذلك.

السنة النبوية: كان من أكثر الصحابة ملازمة للنبي صلى الله عليه وسلم، وقد روى عنه عددًا كبيرًا من الأحاديث، و كان حريصًا على تطبيق السنة النبوية قولًا

وفعلًا، وكان يرى أن السنة شارحة ومبينة للقرآن، كان يرى أن السنة النبوية هي المصدر الثاني للتشريع بعد القرآن الكريم، ولا يمكن الاستغناء عنها في فهم الأحكام الشرعية. كان يشدد على ضرورة التثبت من صحة الحديث قبل العمل به، ولكنه كان من الصحابة الذين يفتون بالرأي إذا لم يجد نصًا صريحًا من القرآن أو السنة.

خصائص فقهه

تميز فقه عبد الله بن مسعود بعدة خصائص جعلته مدرسة فقهية مستقلة بذاتها:

التشدد في الأخذ بالقرآن والسنة: كان ابن مسعود حريصًا جدًا على التمسك بنصوص القرآن والسنة، وكان يرى أن أي حكم شرعي يجب أن يكون له أصل فيهما. وكان ينهى عن الإفراط في الرأي إذا كان هناك نص صريح. هذا التشدد جعله يرفض بعض الآراء التي كانت تعتمد على القياس الواسع في بعض الأحيان[18]. فعلى الرغم من تشدده في الأخذ بالنصوص، إلا أنه كان من أكثر الصحابة استخدامًا للرأي والاجتهاد عند عدم وجود نص صريح.

الاهتمام بالمقاصد الشرعية: كان ابن مسعود يولي اهتمامًا كبيرًا لمقاصد الشريعة الإسلامية، وكان يرى أن الأحكام الشرعية جاءت لتحقيق مصالح العباد ودرء المفاسد عنهم. وكان يستنبط الأحكام بناءً على فهمه لمقاصد الشريعة، وهذا ما جعله يميل إلى التيسير في بعض الأحيان، وإلى التشدد في أحيان أخرى، حسب ما يراه محققًا لمقصد الشارع.

التيسيرورفع الحرج: في كثير من فتاواه، كان ابن مسعود يميل إلى التيسير ورفع

الحرج عن الناس، خاصة في المسائل التي تتعلق بالعبادات والمعاملات اليومية. وكان يرى أن الشريعة الإسلامية جاءت للتيسير لا للتعسير، وأن الله لا يريد بعباده العسر. هذا التيسير كان مبنيًا على فهمه العميق لمقاصد الشريعة[19].

التأثر بالواقع العملي

كان ابن مسعود من الصحابة الذين عاشوا في الكوفة، وتفاعلوا مع واقع الناس ومشاكلهم. هذا التفاعل جعله يراعي الواقع العملي في فتاواه، وكان يميل إلى إيجاد حلول عملية للمشكلات التي تواجه الناس. هذا الجانب العملي في فقهه جعله أكثر قربًا من احتياجات الناس[20].

أمثلة من فقهه

تتضح خصائص فقه ابن مسعود من خلال العديد من فتاواه وأقواله:

في الصلاة: كان يرى أن المسافر يقصر الصلاة حتى يعود إلى وطنه، حتى لو أقام في مكان ما لمدة طويلة، ما لم ينو الإقامة الدائمة. هذا الرأي يعكس ميله إلى التيسير على المسافرين[21].

في المواريث: كان له اجتهادات خاصة في بعض مسائل المواريث، مثل توريث الجدة، حيث كان يرى أن الجدة ترث السدس إذا لم يكن هناك أم. هذه الاجتهادات تعكس قدرته على استنباط الأحكام من خلال القياس والرأي[22].

تأثير فقهه

كان لفقه عبد الله بن مسعود تأثير كبير في الفقه الإسلامي، خاصة في

مدرسة الكوفة؛ حيث يعدّ الأب الروحي لمدرسة الرأي في الكوفة، والتي تطورت فيما بعد على يد تلاميذه مثل علقمة بن قيس النخعي، وإبراهيم النخعي، ثم الإمام أبي حنيفة النعمان. هؤلاء الفقهاء بنوا فقههم على أسس وضعها ابن مسعود، خاصة في الاعتماد على الرأي والقياس عند عدم وجود نص صريح[23].

عبد الله بن مسعود كان فقيهًا متوازنًا يجمع بين الأصالة والمعاصرة، بين التمسك بالنصوص الشرعية والاجتهاد بالرأي لمواجهة المستجدات، مما جعله من أهم المدارس الفقهية في صدر الإسلام.

رو ايته للحديث النبوي: تعدّ رواية عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- للسنة النبوية من الروايات ذات الأهمية البالغة في الفقه الإسلامي وعلوم الحديث، وذلك لمكانته العلمية والدينية الرفيعة، وقربه من النبي صلى الله عليه وسلم، وحرصه الشديد على تلقي العلم وحفظه ونقله. لقد كان ابن مسعود من السابقين الأولين إلى الإسلام، ومن الملازمين للنبي صلى الله عليه وسلم، مما أتاح له فرصة فريدة لمعايشة الوحي وتلقي السنة مباشرة منه.؛ فيُعدّ عبد الله بن مسعود من المكثرين من رواية الحديث النبوي، وقد روى عنه عدد كبير من الصحابة والتابعين[24].

عبد الله بن مسعود وتفسيره للقرآن الكريم

يُعد عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- من أبرز الصحابة الذين كان لهم دور محوري في تفسير القرآن الكريم، وتجلت مكانته الرفيعة في هذا المجال من عدة جوانب، جعلته مرجعًا أساسيًا للمسلمين الأوائل ومن تبعهم في فهم

كتاب الله. لقد كان ابن مسعود من أوائل من أسلم، وتلقى القرآن مباشرة من فم النبي صلى الله عليه وسلم، مما أكسبه فهمًا عميقًا ودقيقًا لمعانيه وأسباب نزوله[25].

تلقيه القرآن مباشرة من النبي صلى الله عليه وسلم

كان عبد الله بن مسعود من الصحابة الذين لازموا النبي صلى الله عليه وسلم كثيرًا، وحضروا نزول الكثير من آيات القرآن الكريم. وقد شهد له النبي صلى الله عليه وسلم بذلك، حيث قال: "من أحب أن يقرأ القرآن غضًا كما أنزل، فليقرأه على قراءة ابن أم عبد"

وهذا التلقى المباشر من النبي صلى الله عليه وسلم منحه ميزة فريدة في فهم سياقات الآيات، وأسباب نزولها، وتفسير غريبها، مما جعله من أوعية العلم في زمنه. وقد كان يحرص على تدوين ما يسمعه من النبي صلى الله عليه وسلم، مما ساعد في حفظ تفسيراته وتناقلها[26].

منهجه في التفسير

اتبع ابن مسعود منهجًا متكاملًا في التفسير، ارتكز على عدة أسس منها:

1. تفسير القرآن بالقرآن: كان ابن مسعود يرى أن أفضل طريقة لتفسير القرآن هي تفسير بعضه ببعض. فإذا أشكلت عليه آية، بحث عن آية أخرى توضحها أو تفصلها، مستلهمًا بذلك المنهج النبوي في التفسير[27].

2. تفسير القرآن بالسنة النبوية: كانت السنة النبوية الشريفة المصدر الثاني لابن مسعود في التفسير. فقد كان يرجع إلى أقوال النبي صلى الله عليه وسلم وأفعاله وتقريراته لتوضيح معاني الآيات، مستفيدًا من قربه من النبي -صلى الله عليه وسلم- ومعرفته العميقة بسنته[28].

3. تفسير القرآن بأقوال الصحابة:

كان ابن مسعود يعتمد على أقوال كبار الصحابة في التفسير، خاصة أولئك الذين اشتهروا بالعلم والفهم، مثل أبي بكر وعمر وعثمان وعلي (رضي الله عنهم). وقد كان يرى أن فهم الصحابة للقرآن أقرب إلى الصواب، لأنهم عاصروا التنزيل وشهدوا أسباب النزول[29].

4. الاجتهاد والرأي: لم يقتصر ابن مسعود على النقل، بل كان يجتهد برأيه في تفسير بعض الآيات التي لم يجد فيها نصًا من القرآن أو السنة أو أقوال الصحابة. وكان اجتهاده مبنيًا على فهم عميق للغة العربية، ومقاصد الشريعة، وقواعد التفسير[30]

تلاميذه و أثرهم

تخرج على يد عبد الله بن مسعود عدد كبير من التابعين الذين حملوا علمه في التفسير ونشروه في الأمصار. ومن أبرز تلاميذه: علقمة بن قيس، والأسود بن يزيد النخعي، ومسروق بن الأجدع، وعبيدة السلماني، وغيرهم

كثير[31]

مكانته بين المفسرين

يُعد عبد الله بن مسعود من الأئمة الأعلام في التفسير، وقد أجمعت الأمة على علمه وفضله في هذا الباب. وقد أثنى عليه كبار الصحابة والتابعين، وشهدوا له بالبراعة في فهم القرآن. فكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: "كُنَيْفٌ مُلِئَ فِقْهًا"[32] وقد اعتمد عليه كبار المفسرين في كتبهم، ونقلوا عنه الكثير من التفسيرات والأقوال، مما يدل على مكانته المرموقة في هذا العلم[33]

خصائص تفسيره

تميز تفسير ابن مسعود بعدة خصائص جعلته فريدًا ومهما كما يلي:

1. **الإيجازوالتركيز:** كان تفسيره موجزًا ومختصرًا، يركز على المعنى الأساس للآية دون إطالة أو تفصيل غير ضروري، مما يسهل فهمه وحفظه[34]
2. **الدقة والعمق:** على الرغم من إيجازه، كان تفسيره دقيقًا وعميقًا، يكشف عن أسرار الآيات ومقاصدها، ويستنبط منها الأحكام والفوائد[35]. (الإتقان في علوم القرآن للسيوطي).
3. **الاهتمام باللغة العربية:** كان ابن مسعود عالمًا باللغة العربية وأساليبها، مما ساعده على فهم دلالات الألفاظ والتراكيب القرآنية، وتفسير غريب القرآن،

وقد استشهد بأقواله كثيرة على قضايا لغوية واردة في الكتاب منها: قد قرأ عنده رجل فقال أستعيذ بالله من الشيطان الرجيم، فقال: جردوا القرآن ليربو فيه صغيركم ولا ينأى عنه كبيركم، ولا تلبسوا به شيئا ليس منه[36].

النتائج

توصل البحث إلى الدور الفعال الذي لعبه عبد الله بن مسعود في التعليم سواء في الجانب التفسيري أو الإقرائي أو الفقهي والاجتهادي، فقد يمتاز بصفاء العقل محبا للاقتداء بالسنة النبوية المطهرة، كما كشف جانبا مهما من حياته، من حيث نسبه وإسلامه وشجاعته ومكانته وزهده، منتهيا إلى أن ابن مسعود يحتل مكانة فريدة ومتميزة، فهو من كبار الصحابة علمًا وفقهًا وزهدًا وورعًا، وقد شهد له النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة بالفضل، وكان له تأثير عظيم على الأجيال اللاحقة من المسلمين. ومكانته لا تضاهيها مكانة إلا قلة من الصحابة، فقد كان منارة للعلم والهدى، ومرجعًا أساسا للمسلمين في فهم كتاب ربهم، وقد ترك إرثًا عظيمًا من التفسيرات والأقوال التي لا تزال تستفيد منها الأمة إلى يومنا هذا.

التوصيات:

من خلال البحث تبين للباحث الجوانب التي يمكن تصويب البحث عليه؛ لأن عبد الله بن مسعود كما قال عمر بن الخطاب: " كُنَيْفٌ مُلِئَ فِقْهًا" فليس مجرد الفقه بل ملئ علما، لهذا يوصي الباحث بما يلي:

أولا: جمع آرائه الفقهية.

ثانيا: جمع ما انفرد به من التفسير.

ثالثا: النظر في اجتهاداته.

المصادروالمراجع

الإتقان في علوم القرآن، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي(المتوفى:911هـ) ، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة:1394هـ/ 1974 م

أخبار القضاة، المؤلف: أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ خَلَفِ بْنِ حَيَّانَ بْنِ صَدَقَةَ الضَّبِّيّ البَغْدَادِيّ، المُلَقَّب بِـ"وَكِيع"(المتوفى:306هـ) ، المحقق: صححه وعلق عليه وخرّج أحاديثه: عبد العزيز مصطفى المراغي، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى، بشارع محمد علي بمصر لصاحبها: مصطفى محمد، الطبعة: الأولى، 1366هـ=1947م.

الأعلام، المؤلف: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي(المتوفى:1396هـ)

البرهان في علوم القرآن، المؤلف: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي(المتوفى:794هـ) ، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الأولى، 1376 هـ-1957 م، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه.

تفسير القرآن العظيم، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي(المتوفى:774هـ) ، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية 1420هـ-1999 م.

جامع البيان في تأويل القرآن، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى:310هـ) ، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1420 هـ-2000 م.

الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي(المتوفى:671هـ) ، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، 1384هـ-1964م.

حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، المؤلف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني(المتوفى:430هـ) ، الناشر: السعادة-بجوار محافظة مصر، 1394هـ-1974م.

سير أعلام النبلاء، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي(المتوفى:748هـ) الناشر: دار الحديث-القاهرة، الطبعة:1427هـ-2006م

الطبقات الكبرى، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد(المتوفى:230هـ) ، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، 1410 هـ-1990 م

طبقات خليفة بن خياط، المؤلف: أبو عمرو خليفة بن خياط بن خليفة الشيباني العصفري البصري(المتوفى:240هـ) ، رواية:أبي عمران موسى بن زكريا بن يحيى التستري(ت ق 3 هـ) ، محمد بن أحمد بن محمد الأزدي(ت ق 3 هـ) ، المحقق:د سهيل زكار، الناشر:دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، سنة النشر:1414 هـ = 1993 م

فضائل الصحابة، المؤلف:أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي(المتوفى:303هـ) ، الناشر:دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة:الأولى، 1405، ص:46، و معجم الصحابة، المؤلف:أبو الحسين عبد

الباقي بن قانع بن مرزوق بن واثق الأموي بالولاء البغدادي(المتوفى:351هـ) ، المحقق:صلاح بن سالم المصراتي، الناشر:مكتبة الغرباء الأثرية-المدينة المنورة، الطبعة:الأولى، 1418.

لسان العرب، المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى(المتوفى:711هـ) ، الناشر: دار صادر – بيروت

معجم الصحابة، المؤلف: أبو الحسين عبد الباقي بن قانع بن مرزوق بن واثق الأموي بالولاء البغدادي(المتوفى:351هـ) ، المحقق: صلاح بن سالم المصراتي، الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية-المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، 1418

المغني، المؤلف: أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي(المتوفى:620هـ) ، الناشر: مكتبة القاهرة، الطبعة: بدون طبعة.

الوافي بالوفيات، المؤلف: صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي(المتوفى:764هـ)، المحقق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، الناشر: دار إحياء التراث – بيروت، عام النشر:1420هـ-2000م.